

مناهج المؤلفين المسلمين في كتب الخراج والأموال (قدامة بن جعفر نموذجاً)

د. محمد علي إسماعيل*

ملخص

هذا البحث يتناول بصفة عامة مناهج التأليف في كتب الخراج والأموال عند المسلمين في فترة ازدهار الحضارة الإسلامية، ويركز بصفة خاصة على كتاب الخراج وصناعة الكتابة لمؤلفه قدامة بن جعفر وهو أحد الموظفين الماليين للدولة الإسلامية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، والذي يعد من أبرز كتب التراث في المجال الاقتصادي. وتعد جهود قدامة متممة لمن سبقه من علماء كالقاضي أبي يوسف صاحب الخراج، ويحيى بن آدم، وحמיד بن زنجويه، وابن سلام، في كتبهم التي ألّفوها حول الخراج والأموال.

لقد أعطيت لمحة عن حياة المؤلف وأساتذته وتلاميذه وأقرانه وعصره الذي عاش فيه ، ثم انتقلت للحديث عن محتوى كتابه؛ ففتبعت ما كتبه، ثم قدمت ملاحظات نقدية حوله، وفي المجمل يتبين لنا أن شخصية قدامة كانت حاضرة بقوة، ولعل هذا يرجع إلى كون قدامة مسؤولاً مالياً وإدارياً بالدولة ، وموسوعيته كذلك كانت واضحة للعيان حيث كان يوضح لموظفي الدولة كافة ما ينبغي فعله وعمله بالتفصيل.

الكلمات الدالة: الخراج، الأموال، العشور، عشور التجارة، النقود، الجزية، الفية، الديوان، الضرائب، الزكاة، الصدقة، العُشُر.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد تطورت مناهج المؤلفين طيلة القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية الشريفة، فاشتملت على عديد المناهج ، واتخذت مسارب متعددة، بين العلماء على مختلف اتجاهاتهم الفكرية وتخصصاتهم العلمية، ومن هذه التخصصات كان التأليف في كتب الخراج والأموال، ويعتبر كتاب الخراج للقاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة (182هـ/798م) من أول ما كُتب في هذا الشأن، وتبعه في هذا المنحى أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (224هـ/838م) الذي ألف كتاباً سماه كتاب الأموال تناول فيه موارد الدولة، ثم تتابع التأليف في هذا الفن.

تكمن أهمية هذا الموضوع بأن له جوانب حضارية مضيئة جديرة بالبحث والدراسة والاهتمام حيث يعطي فكرة عن التقدم المعرفي في شؤون الإدارة الاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية في تلك الفترة.

سأطرق في هذا البحث للتعريف بمؤلف كتاب الخراج وصناعة الكتابة قدامة بن جعفر الذي يعتبر من رواد الفكر الاقتصادي الإنساني الذي لم يلق حظه من الدراسة والاهتمام والذي كان مسؤولاً مالياً وإدارياً بالدولة الإسلامية في تلك الفترة، وسأتناول شخصيته من حيث نشأته وحياته وأساتذته وتلاميذه والعصر الذي عاش فيه، ثم الحديث عن مؤلفاته والتي من بينها هذا المرجع الاقتصادي ، وسأحاول أن أعطي نبذة عن محتواه يعقبها ملاحظات نقدية على المنهج الذي اتبعه المؤلف.

1- حياة قدامة بن جعفر ونشأته:

هو أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن قدامة، بن زياد، الكاتب، البغدادي. (ابن النديم، 1971: ص 144؛ ابن الجوزي، 1992: 363/6؛ ابن تغرى بردي، 1992: 3 / 298 ؛ الصفدي، 1993: 205/ 2 ؛ بروكلمان، 1998: 242/4؛ الزركلي، 1984: 128/8) ولم تذكر لنا المصادر التي ترجمت له، معلومات وافرة، عن حياته، وكل ما ذكر، لا يتناسب مع غزارة علمه، وسعة أفقه، وموسوعيته، ومن خلال قراءتي لمن

عرف بالصلاح والتقوى والصدق كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ومات في بغداد. (الخطيب البغدادي، 1989: 204/5).

3- عصره:

عاصر قدامة بن جعفر أكثر من خليفة عباسي بداية من الخليفة المعتمد علي الله (256 - 279 هـ / 869 - 892 م). (ابن الجوزي، 1992: 122/5) و أدرك فترة لا بأس بها من عصره، وتعتبر فترة حكم المعتمد فترة تحرر محدودة عن النفوذ التركي، الذي سيطر علي الخلافة بعد مقتل المتوكل سنة (247 هـ / 861 م). (ابن الجوزي، 1992: 122/5)، ومع هذا التحرر فإن السلطة الحقيقية في هذا العصر كانت لأخيه أبي أحمد الموفق، قائد الجيش، وشهد هذا العصر عودة الخليفة إلى بغداد من سامراء، وشهد هذا العصر استمراراً لثورة الزنج التي انطلقت سنة (255 هـ / 868 م) علي يد أحد العلويين ويدعى علي بن محمد بن أحمد من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب، حيث أقرت ثورته الدولة العباسية في كل من البحرين وبادية العراق والبصرة، وكانت نهاية هذه الثورة بمقتل زعيمها العلوي سنة (270 هـ / 883 م). (ابن الطقطقي، 1966: ص 249).

الخليفة العباسي المعتضد بالله (279 - 289 هـ / 892 - 901 م) وقد كان هذا العصر عصر رخاء وأمان، فقد أسقط الخليفة الضرائب عن الناس، وأما من الناحية الفكرية، فقد قام الخليفة المعتضد بمنع كل من يبيع كتب الفلاسفة، ومنع القصاصين والمنجمين من اعتراض الناس في الطرقات، وكان قليل الإسراف، مما أدى لوصفه بالبخل، واهتم كذلك بالثغور، والغزو من النواحي الشمالية بالشام. (ابن الجوزي، 1992: 123/5).

الخليفة العباسي: المكتفي (289 - 295 هـ / 901 - 907 م): كانت بداية عصره بداية طيبة، فأمر بهدم السجون، وأمر ببناء مساجد مكانها، وأمر برد ما اغتصب من حوانيت ويساتين لأصحابها، ومما يحسب له كذلك قضاؤه علي القرامطة في الشام سنة (291 هـ / 903 م) ووقفه لهجمات الروم، وإبرامه لاتفاق لتبادل الأسرى معهم. (مسكويه، 1914: 3/1).

ترجموا قدامة، يتبين أنه ولد في الثلث الأخير من (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) بالكوفة، وأنه كان نصرانياً ثم أسلم علي يد الخليفة العباسي المكتفي، ونسنتج من هذا أمرين: الأول أنه كان سليل عائلة معروفة بالعلم، فأبوه جعفر بن قدامة تضاربت الأقوال في الشهادة له بالعلم، فابن النديم يصفه بأنه لا علم عنده. (الفهرست، 1971: ص 188)، ويخالفه في هذا الخطيب البغدادي، الذي يثنى عليه ويشهد له بالعلم. (تاريخ بغداد، 1989: 9/1)، والأمر الثاني أنه كان من المقربين من السلطان وأصحاب القرار، فذكر عنه أنه كان كاتباً للوزير ابن الفرات، ويبدو هذا أثناء إحدى فترات وزارة ابن الفرات في زمن الخليفة العباسي المقتدر (295 - 320 هـ / 907 - 932 م)، ويروى كذلك أنه كان كاتباً لمعز الدولة البويهبي (334 - 338 هـ / 945 - 949 م) وكتابتة لمعز الدولة البويهبي تجعلنا نؤيد الرأي بوفاته في سنة (338 هـ / 949 م). (ياقوت، 1993: 12/1) بدلا من سنة (328 هـ / 939 م). (ابن النديم، 1971: ص 188).

بالإضافة إلى هذا فقد كان جده قدامة بن زياد من النابغين بعلمي الكيمياء والطب. (الجاحظ، 1969: 95/5).

2- أساتذته:

من خلال الاطلاع علي سيرته يتبين أنه أخذ العلم عن أبيه وعن مشاهير الأدباء في تلك الفترة فممن أخذ عنهم:

ابن قتيبة، محمد بن عبد المجيد بن قتيبة الدينوري (ت 267 هـ / 889 م) الأديب المحدث، المؤرخ، صاحب المصنفات العديدة، أشهرها: عيون الأخبار، وأدب الكاتب. (ابن خلكان، 1964: 42/3؛ ابن خلدون، 1992: ص 553؛ حاجي خليفة، 48/1).

المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت: 286 هـ / 899 م) وهو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، المعروفين بنشعب معارفهم وتنوع ثقافتهم، من أشهر مؤلفاته: الكامل، والفاضل، والمقتضب، وغيرها.

أبو العباس ثعلب، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، (ت: 291 هـ / 903 م)

• **كتاب نقد الشعر:**

طبع مرات عديدة منها: مطبعة الجوانب بإسطنبول سنة (1302 هـ/1884م) وطبع كذلك في سنة 1934م بالمطبعة المليجية بالقاهرة، وفي سنة 1948م، وطبع بمكتبة الخانجي بتحقيق، كمال مصطفى، وطبع سنة 1972 بالقاهرة بمكتبة الكليات الأزهرية، ومع هذا، وضعه محقق كتاب الخراج سنة 1981 محمد حسين الزبيدي من بين الكتب التي مازالت مخطوطة!

يعتبر هذا الكتاب، أصلاً لجميع الدراسات النقدية بعد قدامة بن جعفر، حيث قسم الشعر إلى عناصره الأولى المفردة: اللفظ والمعنى والوزن والقافية، ورأى أن هذه المكونات تأتلف فيما بينها، فينتج عنها انتلافات: انتلاف بين اللفظ والمعنى، وانتلاف اللفظ مع الوزن، وانتلاف المعنى مع الوزن، وانتلاف المعنى مع القافية، وأشار قدامة إلى أن الشعر صناعة، كباقي الصناعات، وأنه تأثر في صياغة مضامينه بالثقافات العقلية التي كانت سائدة.

• **كتاب جواهر الألفاظ:**

يأتي هذا الكتاب في الحرص على الاهتمام بثقافة الكاتب، فيسوق في هذا الكتاب أربعة عشر نوعاً بلاغياً، تعد عنده أحسن البلاغة وهي: الترصيع والسجع واتساق البناء واعتدال الوزن واشتقاق لفظ من لفظ، والاستعارة وتوفر تمام الأقسام، وتصحيح المقابلة بمعان متعادلة، وصحة التقسيم، وتلخيص الأوصاف والمبالغة، وتكافؤ المعاني المتقابلة، وإرداف اللواحق وتمثيل المعاني، ولعل هذين الكتابين جعلاً من قدامة بن جعفر من مشاهير البلغاء والفصحاء، الذين يضرب بهم المثل في البلاغة.

• **كتاب نقد النثر**

هذا الكتاب بالرغم من نشره باسم قدامة بن جعفر، إلا أن بعض المحققين أرجعوا هذا الكتاب إلى جزء من كتاب: البرهان في وجوه البيان للأديب إسحاق بن إبراهيم بن سليمان المتوفى بعد سنة (335 هـ/946م).

الخليفة المقنن (295 - 320 هـ/ 907 - 932م) وقد كان قدامة بن جعفر خلال هذه الفترة من صناعات القرار بالدولة، فكان كاتباً للوزير ابن الفرات، ولم تمدنا المصادر التاريخية بتفاصيل عنه. (السيوطي، 1975: ص 378؛ آدم متز، 1957: 33/).

الخلفاء: القاهر بالله (320 - 322 هـ/ 932 - 933م). (ابن الأثير، 1965: 234/6) الراضي بالله (322 - 329 هـ/ 933 - 940م). (مسكويه، 1914: 290/1)، المتقي لله (329 - 333 هـ/ 940 - 944). (ابن الجوزي، 1992: 328/6) المكتفي بالله (333 - 334 هـ/ 944 - 945م). (ابن الأثير، 1965: 314/6) وعاصر ثلاث سنوات من فترة خلافة الخليفة العباسي المطيع (334 - 363 هـ/ 946 - 974). (Arnold, 1942: p. 62) و تولى في هذه الفترة الكتابة لمعز الدولة البويهبي الذي كان مسيطراً سيطرة تامة علي كافة شؤون الدولة العباسية. (ياقوت، 1993: 12/17)

4- **مؤلفاته:**

نكر ياقوت الحموي أنه ألف أحد عشر كتاباً، وهي:

- كتاب صابون الغم.
 - كتاب جلاء الحزن.
 - كتاب درياق الفكر.
 - كتاب السياسة.
 - كتاب الرد علي ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام.
 - كتاب حشوشاء الجليس.
 - كتاب صناعة الجدل.
 - كتاب زهر الربيع.
 - كتاب نزهة القلوب.
 - كتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة، المعروفة بالنجم الثاقب.
 - كتاب صرف الهم (ياقوت ، 1993: 12/17).
- ولكن ما ذكر، إما مخطوط بخزائن الكتب وإما مفقود، ولم يطبع له علي حسب علمي إلا ثلاثة كتب باستثناء الخراج وصناعة الكتابة وهي:

• كتاب الخراج وصناعة الكتابة:

اعتمد محققو الكتاب علي نسخة لمخطوطة فريدة، بمكتبة كوبر للي بتركيا برقم (1702) أدبيات عام، وتقع في (254) صفحة، بعدد (17) سطراً في كل صفحة، وتوجد منها صورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، برقم (1076) تاريخ، وتوجد مخطوطة في دار الكتب الوطنية بباريس برقم (5907) وقد أخذ منها صورة للمكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (18) ودار الكتب المصرية برقم (1971) فقه حنفي.

وكان أول تحقيق للكتاب من قبل المستشرق المعروف ذي غوييه (De Goeje) المتوفى سنة (1909م). (الزركلي، 1984: 338/7)، حيث حقق الباب الحادي عشر، وهو ذكر ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحي المشرق والمغرب عن مخطوطة كوبرللي، بعنوان: نُبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ملحقاً بكتاب "المسالك والممالك" لابن خردادبه (ت: 300هـ/ 912م) في ليدن، وقام علي نشره مطبعة بريل سنة (1889م) وكانت الطبعة الثانية سنة (1967م) ضمن السلسلة الجغرافية العربية.

كذلك حقق جزءاً من كتاب الخراج، بعنوان: السياسة عن كتاب الخراج وصناعة الكتابة وجزءاً آخر بعنوان: الدواوين من كتاب الخراج وصناعة الكتابة.

وأما تحقيقه بالكامل فكان بتحقيق: محمد حسين الزبيدي، بدار الرشيد ببغداد سنة (1981م) وهو التحقيق الوحيد - فيما أعلم - لما وصلنا من هذا الكتاب.

- محتوى كتاب الخراج وصناعة الكتابة:

لم يصلنا من هذا الكتاب إلا أجزاءه الأربعة الأخيرة، وأطلق قدامة علي كل جزء لفظة (منزلة) حيث قسمه إلى ثمانية

(منازل) بحسب تعبيره، ويبدو أن المنازل الأربعة تتناول: مقدمة تبحث في أهداف تأليف الكتاب وترتيب منازل وآلات الكتابة وأدواتها، والبلاغة والبيان، إضافة لمعرفة الكاتب المشتغل بالدواوين بهذه الأشياء، يتحدث كذلك عن ديواني الخراج والضياح وأقسامهما.

أما القسم الباقي من الكتاب فيشتمل علي (المنازل) من الخامسة وحتى الثامنة وقد قسم كل منزلة إلى أبواب، ووضع عنواناً توضيحياً للكتاب، قال فيه إنه: " يشتمل علي عجائب الأرض والبحار وفتح البلاد ومعرفة خراجها وترتيب الكاتب وما يحتاج إليه من الرياسة، وهو مرتب علي المنازل وبالله التوفيق".

يبتدئ الكتاب من المنزلة الخامسة، فيقسمها أحد عشر باباً، يذكر في الباب الأول: ديوان الجيش، فيتحدث عن أقسامه المختلفة، كديوان الإنشاء، والمراسم، والمرتببات، وصحائف الجند، وغيرها.

ويذكر في الباب الثاني من المنزلة الخامسة: ديوان النفقات، فيذكر فيه كافة نفقات الدولة علي الموظفين بمختلف دواوينها.

ويذكر في الباب الثالث: ديوان بيت المال، فيوضح لنا قدامة الغرض من هذا الديوان؛ فيذكر أنه لغرض محاسبة صاحب بيت المال "علي ما يرد عليه من الأموال".

ويتحدث في الباب الرابع عن: ديوان الرسائل الذي يشترط فيه لمن أراد أن يتقدم إلى وظيفة الكاتب في هذا الديوان، أن يكون فصيحاً، بليغاً، متواضعاً لما ينشئه في موضعه، ويضرب أمثلة علي كتاب معروفين، فيستشهد بالكاتب: أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، فيذكر أمثلة علي حسن كتابته للرسائل ثم يذكر نموذجاً لمراسلة طويلة لأحد الخلفاء، مخاطباً من ولاء علي حكم إقليم معين، والغرض من ذكر هذا النموذج تعليم الكتاب كتابة الرسائل، فيوضح لهم، مقدمة الرسائل وما يجب أن تحتويه.

يوضح قدامة من خلال هذه الرسالة الطويلة ما يجب أن يتحلى به القاضي من تقوى الله ومخافته، والعمل بما أمر سبحانه وتعالى، وأن يحكم البلاد التي أمر عليها بالحق والعدل، وأن تكون نيته خالصة لوجه الله، وأن يختار أهل الصلاح والأمانة العالمين بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأمره بأن يتخذ من المسجد الجامع مكاناً يتحاكم فيه الناس، ويأمره كذلك عند الخروج للحكم أن يكون هادئاً علي سكينه و وقار، ولا يحكم وهو بحالة غضب ورفض، وأمره كذلك بأن " لا يحابي شريكاً لشرفه" و " لا يزرى بوضيع لضعفه".

وأن يطالع الأعمال بنفسه، ولا ينفذ عقوبة تتضمن تطبيق حد من حدود الله إلا بعد إخبار خليفة المسلمين.

وأن يمنع الجند من المشي بدوابهم علي الزرع، وأن يراقب أحوال المحبوسين ويحيلهم إلى القضاء.

ويستعرض قدامة نموذجًا آخر من رسائل خليفة المسلمين إلى من ولي علي ثغر من الثغور، فيبدأ الرسالة كالمعتاد بالوصية بالتقوى، والابتعاد عما يغضب الله سبحانه وتعالى وأمر أخرى تتعلق بتعاملاته مع من له سلطة عليهم.

ويختتم قدامة باب ديوان الرسائل بنموذج آخر لرسالة من خليفة المسلمين إلى من ولاه أعمال البريد بناحية معينة.

يبدأ هذه الرسالة كما جرت عليه العادة، بالوصية بالتقوى، ومراقبة الله سبحانه وتعالى في السر والعلانية، والتحلي بالصدق، والاستعانة بذوي الكفاءات والنزاهة، وغيرها من الأمور التي تتعلق بخصوصيات مسؤول البريد.

وينتقل قدامة إلى ذكر الباب الخامس من المنزلة الخامسة، فيذكر ديوان التوقيع والدار، ويذكر فيه كل ما يتعلق بتوقيع الرسائل، وهو شبيه بالشؤون الإدارية اليوم، ثم يذكر الباب السادس من هذه المنزلة ويسميه: ديوان الخاتم، ويوضح لنا أن المراد بالختم، هي الكتب التي يحتاج إلى ختمها بختم أمير المؤمنين.

ثم يذكر الباب السابع الذي يسميه: بديوان الفض، ويقصد بالفض الرسائل الواردة، حيث تجمع الرسائل للخليفة فيقرؤها ثم يعقب عليها تحت التوقيع وتعاد من جديد؛ حيث ترسل إلى كافة الدواوين، وهذا أمرٌ يقول قدامة، إنه كان متعارفًا عليه من قبل.

ويتطرق قدامة في الباب الثامن للنقود والعيار والأوزان، وديوان دار الضرائب، ويبدأ هذا الباب علي غير عادته، فيعطينا لمحة تاريخية عن تاريخ النقود، فيوضح كيف انهارت العملة الفارسية بعد سقوط الفرس، وكيف بدأت قوية مع الحجاج بن يوسف زمن الدولة الأموية، بإنشائه لدار طبعت فيها العملة، حيث ازدهرت فيما بعد في عصر الخليفة الأموي هشام بن عبد

وأمره بالحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وترك كل ما يخالفه، مستدلاً بقول الله سبحانه وتعالى: " وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ". (سورة المائدة: الآية 45)، وأمره أن يثبت من شهادة الشهود، ويسأل عن الشهود وأحوالهم، ويكون ذلك بسؤال أهل الصلاح والخير الموثوقين، وأمره كذلك بمشاورة أهل الحكمة وسداد الرأي فيما استشكل عليه من حكم، وأمره كذلك بالتوقف عن الحكم بالإعدام حتى يكتب إلى الخليفة، وألا يقبل شهادة فاسق ولا مُتهم ولا مشكوك في أمره ولا مجلود في حد من حدود الله، إلا من عرفت توبته.

ومما احتوته هذه الرسالة، ألا يرد الحاكم قضاء قاض من قضاة المسلمين ولا كتابه، ولا يبطل ذلك ولا يدفعه، وأمره أن يستلم من القاضي الذي قبله كل ما يتعلق بحجج وأموال وودائع.

ومما يورده كذلك بخصوص أهل الذمة، أن يقبل القاضي شهادتهم في بعضهم ولا يقبل شهادتهم علي المسلمين وأن يحكم فيهم بحكم الإسلام.

ثم يعرض لنا قدامة بن جعفر، نموذجًا آخر لرسالة من أحد خلفاء المسلمين إلى شخص يكلفه بإمامة المسلمين في الصلاة.

وتتضمن هذه الرسالة النصح بتقوى الله، والأمر بإقامة الصلاة في وقتها وعدم تأخيرها، وأن يكون دخوله في الصلاة بسكينة ودعة، وأن يرتل القرآن الكريم، وأن يُسمع الناس إذا خطب، وأن يضع كل كلام في موضعه، وأن يكلف من ينوب عنه في غيابه من أهل الفضل والصلاح أو من أقرباء خليفة المسلمين.

ويستمر قدامة في عرض نموذج لرسالة أخرى، تتعلق بمن ولاه خليفة المسلمين الحرب بناحية معينة، حيث يوصيه بالتقوى وخشية الله سرًا وعلانية وعلي مجاهدة نفسه، والمحافظة علي دينه، وإعلامه بأن النصر بيد الله، وأن يتجنب ظلم أحد من الرعية، وأن يُحسن صحبة من تبعه من الجنود، وأن يكرم القادة المقربين من خليفة المسلمين، وألا يعاقب أحدًا بشبهة دون أن تظهر له الدلائل البينة والعلامات الواضحة علي ما فعل، وأن يعطى الأمان لمن سلم، وأن يتجنب الغدر وأن يراقب الثغور،

يبتدئ قدامة المنزلة السادسة دون ذكر عنوان رئيسي لها، حيث يذكر لنا مباشرة عناوين مرتبة علي أبوابها وإجمالاً كل ما حوته المنزلة السادسة غالبيتها يتناول موضوعات جغرافية، والقليل منها في مواضع تتعلق بعلم الفلك، فيذكر لنا في الباب الأول أن ما يحصل عليه الإنسان من معلومات جغرافية كانت نتيجة لتأمله في حالات الغروب والشروق علي سبيل المثال.

ثم ينتقل إلى الباب الثاني الذي يسميه: "قسمة المعمور من الأرض"، ويبدأ هذا الباب بنقل قصة تاريخية تقول: "إن الله بعث ملكين فقسما الأرض ثلاثة أقسام وأتيا بالقسمة إلى نوح فكتب له ثلاث قرع علي تسمية بنيه سام وحام ويافث وألقيا القرع في إناء وقالوا: أدخل يدك فأخرج علي اسم واحد، فأدخل يده علي اسم سام فخرج من وسط الأرض، وهو من حد النيل إلى حد الترك ثم أدخل يده المرة الثانية علي اسم يافث فخرج له من حد سام إلى امتداد نبات نعش، ثم أدخل يده المرة الثالثة علي اسم حام فخرج من حد سام إلى مطلع سهيل...".

وبعد هذه البداية التاريخية ينتقل إلى تقسيم العالم طبقاً لهذه الرواية، حيث يمدنا بمعلومات وافية عن أقاليم المعمورة.

وفي الباب الثالث يتناول قدامة بحار الأرض والجزر، فيسمى هذا الباب: "في وضع البحار من الأرض المعمورة ومسافتها والجزائر منها"، و يمدنا قدامة في هذا الباب بمعلومات عن البحار والخلجان والجزر.

ويتناول في الباب الرابع: الجبال، حيث يذكر لنا العديد من الجبال، معرفاً بأطولها؛ فيقسم الأرض إلى أقاليم فيذكر أن بالإقليم الأول تسعة عشر جبلاً وبالثاني سبعة وعشرين جبلاً وبالثلث واحداً وثلاثين جبلاً وبالإقليم الرابع أربعة وعشرين جبلاً، وبالخامس تسعة وعشرين جبلاً، والسادس أربعة وعشرين جبلاً والسابع أربعة وأربعين جبلاً.

ويذكر في الباب الخامس: الأنهار والعيون، ويتبع في هذا الباب الطريقة نفسها في الباب السابق حيث يذكر لنا عدد العيون بكل إقليم من الأقاليم.

ويخصص قدامة الباب السادس إلى الأقاليم التابعة للدولة العباسية في وقتها والتي يسميها بمملكة الإسلام، وعلي هذا كان اسم هذا الباب: "في مملكة الإسلام وأعمالها وارتفاعها".

الملك، ويذكر قدامة أن عيار العملة أصبح فيما بعد أكثر جودة في زمن الخلفاء العباسيين، الرشيد والمأمون والواثق.

ثم يتطرق إلى أوزان الدراهم، فيذكر درهما وزنه عشرون قيراطاً ودرهماً وزنه اثنا عشر قيراطاً، ودرهماً وزنه عشرة قيراط، ويتطرق قدامة لديوان الضرب، وديوان الصيرفة المعروف بالجهيزة.

ويخبرنا قدامة بمدى قدرة الصيرافة علي التحكم في الأمور المالية بطرق غير مشروعة.

ويخصص قدامة الباب التاسع للحديث عن: ديوان المظالم، ويخبرنا بأن هذا الديوان لا بد أن يتولاه رجل ورع يخاف الله، معروف بالعدل والرأفة، صبورٌ علي الناس، ولا بد من وجود موظفين، ونساخ لتسجيل كافة القضايا واستخراجها حين لزومها من المحفوظات.

ويتناول قدامة في الباب العاشر: الشرطة، فيذكر شروط الكاتب، حيث يؤكد على ضرورة معرفة وإمام الكاتب في الشرطة بفنون الكتابة، ويضرب الأمثلة علي ذلك مستشهداً بالقتل العمد والشبيه بالعمد والخطأ، ويمضي في ذكر حالات جنائية يؤكد أنه لزاماً علي الكاتب أن يكون علي إمام بها.

ويحدثنا في الباب الحادي عشر عن: ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحي المشرق؛ فيعطينا معلومات تفصيلية عن الطرق بين المدن الإسلامية ومن أهم ما ذكره طريق بغداد بمكة المكرمة، باعتباره طريق الحجيج، ويبدأ بإعطائنا معلومات جغرافية قيمة عن المسافات بين المناطق، ثم يمدنا بكافة الطرق إلى مكة ومن ثم إلى اليمن، ثم يتطرق إلى طريق بغداد إلى نواحي المشرق كالأهواز وفارس وأصبهان وكرمان وسجستان وما تبعها ويستمر في إعطاء معلومات دقيقة جداً تدل علي معرفة دقيقة بهذه الطرق فيذكر المسافات والأسماء المختلفة لهذه المناطق الشرقية.

ثم ينتقل للحديث عن طرق أخرى لبغداد ببلاد الشام ومنها إلى مصر ویرقة وشمال إفريقيا وبنهاية تفصيلاته للطرق ينهي المنزلة الخامسة؛ حيث كانت نهاية هذه المنزلة بباب يعتبر مصدرًا للمعلومات الجغرافية الدقيقة، بلغ عدد صفحاته ثلاثاً وستين صفحة.

يبدأ هذا الباب بذكر المدينة؛ حيث ينسب حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: " ما يفتح من مصر أو مدينة عنوة فإن المدينة فتحت بالقرآن". يقول أحمد بن حنبل: هذا منكر لم يسمع من حديث مالك ولا هشام إنما هذا قول مالك لم يروه عن أحد. (ابن أبي حاتم، 288/7)، ثم يذكر لنا قدامة فضل المدينة، ويتطرق بعدها إلى ذكر أموال يهود بني النضير، ثم أموال بنى قريظة، ثم يتطرق للحديث عن غزوة خيبر .

ثم يتحدث عن مصالحة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل فدك ويذكر قصة هذه الأرض بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول إن أبا بكر رفض أن يعطيها لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها أتت بشاهد و امرأة واحدة.

ويذكر كذلك أن عمر بن عبد العزيز خطب في الناس وقص عليهم خلاصة قصة أرض فدك، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفق منها، ويضع فضلها في ابن السبيل، ورفض أن يعطيها لفاطمة عندما سألته أن يهبها لها، وأن أبا بكر وعمر فعلا مثلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يذكر لنا ماذا حل بها في زمن الخليفين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب - رضى الله عنهما - حيث يقول: "ولما ولي معاوية أقطعها مروان بن الحكم، وأن مروان وهبها لعبد العزيز ولعبد الملك ابنه ثم إنها صارت له وللوليد ولسليمان" إلى أن يصل في سرده لقصة عمر بن العزيز عن أرض فدك لقول عمر بن عبد العزيز: " اشهدوا أني قد رددتها إلى ما كانت عليه"، ومما يسرده قدامة بشأن قصة هذه الأرض، أن الخليفة المأمون أمر بإعطائها لولد فاطمة، وكان هذا كما يقول سنة (320 هـ/ 825م) حيث كان يعتقد بأحقية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بها.

ثم يذكر فتح النبي صلى الله عليه وسلم لوادي القرى وتفصيل فتح مكة وغزوة حنين والطائف وغزوات تبوك وباقي الفتوحات الإسلامية زمن الخلافة الراشدة والدولة الأموية.

ويتناول قدامة بن جعفر في الجزء الأخير من كتابه النظم الاجتماعية والسياسية، فيقسم المنزلة الثامنة إلى اثني عشر باباً يبدوها بستة أبواب تتناول النظم الاجتماعية والستة الأخرى للنظم السياسية، فيعنون الباب الأول بقوله: " في صدور هذه

فيطينا معلومات عن مصطلحي المشرق والمغرب، فيذكر أن مصر مثلاً، هي مغرب بالنسبة للعراق، وهي في الوقت نفسه مشرق لمن هو في بلاد الأندلس، ثم يتطرق لسبب تسمية العراق، حيث يرجع هذا إلى الفرس، ثم يتناول أقاليم المشرق الإسلامي بالتفصيل.

ويمدنا قدامة بمعلومات دقيقة من دواوين سنة (204 هـ/ 819 م) فيذكر لنا جداول بمحاصيل الحنطة والشعير من أقاليم الخلافة العباسية.

ويتحدث قدامة في الباب الأخير من هذه المنزلة عن حدود الدولة الإسلامية، فيعنون الباب السابع باسم: " في ثغور الإسلام والأمم والأجيال".

يذكر في هذا الباب الثغور الشمالية، حيث يطلق عليها الثغور الشامية والثغور الجزرية والثغور البحرية ويقصد بها سواحل بلاد الشام علي البحر المتوسط كاللاذقية وطرابلس والشام وبيروت وصيدا وصور وعكا.

وبعد ذكره للثغور يعطينا معلومات عن تركيبة جيش الروم ثم يمدنا بمعلومات أخرى عن حدود الدولة البيزنطية ومعلومات أخرى عن بلدان الشرق الأقصى كالهند والصين مستشهداً بقصص تاريخية كقصة الإسكندر، ويتطرق كذلك إلى بلدان عديدة أخرى بالمغرب وبها يختم هذه المنزلة.

ويتحدث في المنزلة السابعة وهي غير معنونة؛ فيقسمها إلى تسعة عشر باباً، وهذه المنزلة تتحدث بالتفصيل عن الأمور المالية للدولة، ويؤكد قدامة قبل دخوله في تفاصيل كل باب علي أهمية الكتابة فيقول:

" ينبغي أن يعتقد أن الشريعة أصل وأن الكتابة فرع من فروعها" ويقول كذلك: "وإذا كان الملك لا قوام له إلا بالدين فقد وضح أن الكتابة فرع من فروع الدين".

ويؤكد قدامة علي ضرورة معرفة الكتاب بالأمور الفقهية المالية المتعلقة بكافة موارد الدولة المالية.

ويتناول في الباب التاسع عشر وهو أطول أبواب الكتاب حيث بلغت صفحاته حوالي مائة وثمان وستين صفحة، حيث عنونه باسم " فتوح النواحي والأمصار".

علي أن صلاح وفساد الناس من صلاح وفساد ملوكهم ، ويعرفنا قدامة بالملك الذي يريد إقامة العدل، أنه لا بد له: أن يكون مهيباً يرهب الناس أكثر مما يرغبهم، ويستبد عليهم بأزيد مما يلين لهم.

ويخصص الباب التاسع للحديث عن: أخلاق الملك وما يجب أن يكون عليه، فيؤكد علي ضرورة تحلى الملك بالأخلاق الحسنة والاستقامة ورجاحة العقل والعلم ومجاهدة الهوى والشجاعة التي يقسمها قدامة إلى قسمين: الأول الصبر علي النوازل، والثاني الجرأة علي الملاقاة والمنازلة، ويؤكد كذلك علي نظر الملك لعواقب الأمور ، ويستمر في ذكر باقي الأخلاق الحميدة، التي يجب أن يتحلى بها الملك.

ويعد قدامة في الباب العاشر صفات خدام الملك فيذكر عشرين صفة، أولها العقل ثم العلم والود للناس والنصيحة وكنمان السر والعفة علي الشهوات ومجانبة الحسد والصرامة والصدق والتغافل وحسن الزى والهيئة وبشاشة اللقاء والرأفة، والأمانة والإيثار وترك البذخ والكبر وعدم الحرص وألا يكون ثقيل الدم، ثم يستدل ببعض الأمثلة التاريخية.

يتناول في الباب الحادي عشر: " أسباب بين الملك وبين الناس إذا تحفظ منها زادت محاسنه وانصرفت المعاييب عنه وتمكنت له سياسته" .

يرى قدامة أن الملك تزيد محاسنه يزره لمن يمدحه ويطلبه للمشورة من أهلها ، ثم يذكر أمثلة تاريخية لملوك كانوا يأخذون بالمشورة كالإسكندر ، ويؤكد كذلك علي أن سبب فساد الدولة يرجع إلى علوة السفلة وانحطاط الأشراف، فبعلو السفلة ووصولهم للمراتب المالية يكثر الجهل، ويبعد الرجال الفضلاء عن الأماكن المناسبة لهم .

ويُعنون قدامة الباب الأخير من كتاب الخراج وهو الباب الثاني عشر من المنزلة الثامنة بعنوان: "في استيزار الوزراء وما يحتاج إليه الملوك منهم وما يلزم لهم" .

ويحدد قدامة في هذا الباب أفضل الوزراء بالنسبة للملك فيجعل المرتبة الأولى للوزير الذي ولأؤه المطلق لملكه، ويصف قدامة هذا الوزير بأربع عشرة صفة، فيشترط فيه أن يكون تام الأعضاء وجيد الفهم وكثير العلم وحسن التصور وجميل الوجه

المنزلة" حيث يركز علي عظمة الله سبحانه وتعالى وخلقه للملائكة والحيوان والإنسان، ثم يصل إلى نتيجة أن الإنسان يحتاج إلى الاجتماع والتمدن وبعد الاجتماع يحتاج لسياسة أموره .

ويعلل قدامة بن جعفر في الباب الثاني: " السبب الذي احتاج له الناس إلى التغذية" فيقول إن الإنسان بحاجة للغذاء "لئلا يبطل جسمه" الشيء نفسه في الباب الثالث المُعنون بـ "في السبب الذي احتاج له الناس إلى اللباس والكسوة" حيث يقول: "ولما خلا الإنسان من الشعر والوبر والريش والصوف والقشور" صنع لنفسه الملابس .

ويتناول قدامة في الباب الرابع: " السبب الذي احتاج فيه الإنسان إلى التنازل فيؤكد علي أن التنازل بقاء للإنسان من الفناء .

ويتطرق في الباب الخامس إلى: " السبب الذي احتاج له الناس إلى المدن والاجتماع فيها ويعلل هذا بأن الإنسان محب للموانسة ومؤثر للاجتماع مع ذوى جنسه؛ وبسبب هذا اتخذ الناس المدن والبلدان واجتمعوا فيها" .

ويتناول في الباب السادس: " حاجة الناس إلى الذهب والفضة ، ويعلل ذلك بصعوبة المقايضة بين السلع ولهذا اختاروا الذهب" لطول بقاءه ثم كانت الفضة ثم كان النحاس.

بعد عرضه للأبواب الستة ينتقل قدامة إلى باب سابع يختلف عما سبق فيعنونه باسم "في السبب الداعي إلى إقامة إمام أو ملك للناس يجمعهم" ، يقرر قدامة من خلال هذا الباب أن الناس مأمورون بالتحاكم إلى شرع يتفقون عليه جميعاً، ويؤكد علي ذلك بقوله " فإنه لا ملك إلا بدين وشرع" ويؤكد علي وجود رئيس بقوله: " ولا دين إلا بملك وضبط" ويرى ضرورة التقرد بأمر الملك بقوله: " فليس يكاد يقوم بالحق الذي هو واحد إلا واحد".

ويؤكد في الباب الثامن قائلاً: " .. إن النظر في علم السياسة واجب علي الملوك والأئمة".

يحث قدامة من خلال هذا الباب الملوك علي التعلم والتنقيف لكي تستقيم أراؤهم وتصلح أفعالهم وينتفع بذلك رعاياهم ويؤكد

الاجتماع من خلال مقدمته، إلا أن قدامة سبقه إلى هذا في المنزلة الثامنة والأخيرة من كتابه الخراج وصناعة الكتابة بقوله: "السبب الذي احتاج له الناس إلى المدن والاجتماع"، وتبعه ابن خلدون في مقدمته المعروفة: "إن الاجتماع الإنساني ضروري" وكلاهما يستشهد علي ضرورة الاجتماع وبأن الفرد لا يمكن له أن يقوم بكافة الأعمال فلا بد من الاجتماع، وكلاهما جاء بنفس الأفكار ولكن لكل أسلوبه الخاص به، إذ أن هذه السابقة لقدامة تجعله في مصاف المفكرين في ذلك العصر ولكن لم نسمع عن أحد تحدث عن دور قدامة بن جعفر في علم الاجتماع!

يؤخذ علي قدامة مأخذ عديدة في كتابه الخراج وصناعة الكتاب منها: عدم توازن صفحات الكتاب فنجد بابًا لا يتجاوز ثلاثة أسطر، وبابًا آخر تصل صفحاته لأكثر من مائة وسبع وستين صفحة، ومما يؤخذ عليه كذلك إهماله لأمر الإسناد فلا تجد له حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم مسندًا.

ولا تجد له مصادر تدل علي معلوماته الوفيرة فقد تناول تاريخ الفتوحات شرقًا وغربًا، ووصف الجبال والأنهار والبلدان، ولم يذكر لنا من أين استقى معلوماته، وربما من المرات القليلة التي ذكر فيها كتبًا أخذ منها، كانت أثناء مناقشته لموارد الدولة المالية فنجده يذكر أبا يوسف و يحيى بن آدم وكتاب الأموال لأبي عبيد بن سلام .

ولا يسير قدامة في كتابه علي وتيرة واحدة، فأتى تناوله للفتوحات الإسلامية يبدأ من الغرب إلى الشرق ثم من الشرق إلى الغرب إلى الأندلس وبعدها يعود للحديث عن بلاد النوبة.

ويخرج أحيانًا عن السياق العام فنجده يذكر موارد الدولة المالية في المنزلة السابعة من الباب الأول إلى الباب الخامس عشر متناولاً مواضيع تتعلق بالموارد المالية كالعشور والخراج والجزية والفيء ونحوها، ونفاجأ به في الباب السادس عشر يتكلم عن موضوع فقهي صرف يختص بمقاسمة مياه الآبار وحرمتها.

ومما يتميز به قدامة انفراده بقائمة للموارد المالية للدولة الإسلامية ترجع إلى سنة (204هـ/ 819م) إلا أن هذه القائمة وما ورد فيها من جداول تبين قيمة الغلال وقيمتها بالأموال تختلف عما جاء بمتن الكتاب، وربما يرجع هذا لأمرين، إما لخطأ في الحساب أو لاختلاف في نسخ الكتاب .

وحسن العقل والعبارة والملبس وصادق القول وقنوعًا في الأكل والشرب وقليل الشهوة في النكاح، غير متلهف للدرهم والدينار ومحبًا للعدل وأهله ومبغضًا لل جور والظلم، قوي العزيمة علي الشيء، وأن يكون كاتبًا مترسلاً خطاطًا أديبًا، حافظًا للتواريخ وأيام الناس ويسير الملوك وأخبار المتقدمين من الأمم السابقة وألا يكون كثير الكلام وألا يكون من أصحاب الملذات، وأن يكون من المتقين، ويشترط كذلك للوزراء أثناء عملهم مع الملوك الإخلاص والعمل علي قوة المملكة والدفاع عنها، ويستشهد قدامة بأقوال لأفلاطون ومعاوية بن أبي سفيان ، والمأمون، وكل هذه القصص تدور حول إخلاص وطاعة الوزراء لملوكهم ، ويأتي قدامة إلى نهاية هذا الكتاب فيختمه بعبارة "المشورة في الأمور، وهي وإن كانت مشتركة بين العقلاء إلا أنها بالوزراء أزم".

ملاحظات نقدية:

يكتب قدامة بن جعفر وكأنه يكلم تلميذًا جالسًا بين يديه، يبين له ما يجوز وما لا يجوز، وما يصلح، وما لا يصلح، في الكتابة للدواوين، وهو بهذا يستعرض مهاراته اللغوية، والثقافية، ولاسيما وهو يعلق علي مناهج كتاب الدواوين السابقين، وما ينبغي أن يكون عليه كتاب الدواوين في عصره، وتظهر شخصية قدامة العلمية بوضوح خلال صفحات هذا الكتاب، فغزارة معلوماته، وتنوع ثقافته، جعلت منه كاتبًا موسوعيًا بكل ما للكلمة من معنى، ومن خلال قراءتنا لهذا الكتاب نجد أن قدامة لم تكن له طريقة واحدة. ففي المنزلة الخامسة كانت طريقته تعليمية لكتاب الدواوين وفي المنزلة السادسة كانت مثل طريقة باقي الجغرافيين من حيث حديثه عن الأنهار والجبال والتجار والبلدان وفي المنزلة السابعة كانت طريقته، طريقة الفقهاء؛ حيث إن أغلب أبواب هذه المنزلة تتعلق بموارد الدولة الإسلامية المالية، فكان مناقشًا للعشور والخراج والأخماس، ومرجحًا للآراء الفقهية، وفي المنزلة الثامنة كانت طريقته استقهامية كان فيها قدامة مميزًا ومنفردًا عن باقي معاصريه وسابقيه فتناوله لموضوع حاجة الإنسان والاجتماع لم يسبقه إليها أحد، فما تناوله قدامة بن جعفر تناوله عبد الرحمن بن خلدون بعده بحوالي أربعة قرون، ومع حرص ابن خلدون علي صياغة الأفكار بأسلوبه هو، وتوسعه في التنظير لعلم

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- 1- ابن الأثير، علي بن محمد بن الشيباني (1965). الكامل في التاريخ، تحقيق: كارلوس جوهانز، بريل ليدن 1871، دار صادر، بيروت.
- 2- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (1992). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبدالقادر عطاء ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 3- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد (1990) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة، المكتبة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ.
- 4- ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب، (1971). الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران.
- 5- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (1992). النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 6- ابن خلدون، عبدالرحمن (1993). تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 7- ابن خلكان، أحمد بن محمد (1994). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان درويش، دار صادر، بيروت.
- 8- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1987). البداية والنهاية، تحقيق محمد أبو ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 9- الجاحظ، عمرو بن بحر (1969). الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 10- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (1992). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت.

بحسب لقدامة تناوله لكافة أمور الحياة السياسية والإدارية والمالية والقضائية والعسكرية والاجتماعية، وإمدادنا بسيلٍ من المعلومات الجغرافية، والتاريخية، ومناقشته للأمور الفقهية بخصوص الموارد المالية للدولة الإسلامية .

يتبين لنا من خلال ما كتب اتصافه بالموضوعية والحياد ووزارة العلم وتنوع الثقافة، إضافة للأدب الجم وحسن اختيار الألفاظ، ولعل هذه الأخلاق هي التي دفعت الخلفاء والأمراء وصُناع القرار إلى تقريبه منهم.

الخاتمة:

سلطت الضوء في هذا البحث على أحد كتب التراث في المجال الاقتصادي وحاولت قدر المستطاع تتبع ما جاء فيه منهجياً، ويتضح لنا أنه كان هناك تطور في مثل هذا النوع من الكتابات الاقتصادية ، حيث كان هذا الكتاب اتماماً لجهود من سبقه من العلماء كالقاضي أبي يوسف صاحب الخراج ويحيى بن آدم وحميد بن زنجويه وابن سلام في كتبهم التي ألفوها حول الخراج والأموال .

لقد أعطيت لمحة عن كتاب قدامة ابتدأتها بالحديث عن نشأته وحياته وأساتذته وتلاميذه وأقرانه، ثم تحدثت عن كتابه الذي كانت شخصية قدامة حاضرة فيه بقوة، باعتباره مسؤولاً مالياً وإدارياً في الدولة ، وموسوعيته كذلك كانت واضحة للعيان حيث كان يوضح لموظفي الدولة كافة ما ينبغي فعله وعمله بالتفصيل. وأهم نتيجتين و توصيتين في هذا البحث هما :

- أنه لا بد من عمل جماعي يحصر ما ألف في المجال الاقتصادي، حيث اتضح لي أن كثيراً من المعاصرين لم يطلعوا على كثير من المؤلفات الاقتصادية ، فافتقروا بما ألف المتأخرون كالمقريزي وابن خلدون ولم يهتموا بما كتبه القدامى كالقاضي أبي يوسف ومن جاء بعده ومن أبرزهم صاحب الكتاب الذي تحدثت عنه قدامة بن جعفر .

- يبدو أن هناك عملية مدبرة بقصد أو دون قصد لطمس التراث الاقتصادي وإلا فما معنى غياب مؤلفات جديرة بالدراسة والنقاش والاستفادة لم تلق نصيبها من الشهرة إلى وقتنا هذا .

ثانياً: المراجع العربية:

1- الزركلي، خير الدين (1984). الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت.

2- سركيس، إلياس (1927) معجم المطبوعات العربية، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، جمع وترتيب: يوسف ألياس سركيس وأولاده، القاهرة.

ثالثاً: المرجع المترجمة:

1- متز، آدم (1957) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد أبو ريده، القاهرة.

2- بروكلمان، كارل (1998) تاريخ الأدب العربي: ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف، القاهرة.

المراجع الأجنبية:

- Arnold, Thomas (1942) W. The Caliphate. Oxford: Clarendon Press.

11- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (1989). تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت.

12- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (1975). تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة.

13- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (1993). كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من المحققين، دار فرانزشتايز، شتوتنمارت.

14- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطباً (1966). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت.

15- قدامة بن جعفر (1981). الخراج وصناعة الكتاب، تحقيق محمد الزبيدي، دار الرشيد، بغداد.

16- المسعودي، علي بن الحسين (1979). مروج الذهب ومعاون الجوهر، تحقيق شارل بيلا، نشر الجامعة اللبنانية، بيروت.

17- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (1914). تجارب الأمم وتعاقب الهمم، باعتماد مرجليوث وأمدروز، القاهرة.

18- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (1993). معجم الأدباء، "إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب"، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.